# التأثيرات المشرقية على فنون العمارة الأندلسية
## (مسجد باب المردوم انموذجاً)

**د. أحمد السيد حسين**

**مدرس منتدب بكلية الآداب جامعة دمياط**

**الملخص:**

مثلت المساجد فى بلاد الاندلس جزءًا من أجزاء الفن المعماري في بلاد الأندلس فكان المسلمون حريصين على أن يبنوا القصور والقلاع والمدارس، وأن يجعلوا المساجد دعامة أولي لنشأة تلك المباني التي بنوها، فقد كانت رسالة المسجد رسالة مهمة في تلك الحصون والقلاع، ففيها تدار الاجتماعات السياسية والعسكرية

اهتمام الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة والأموية بالعلوم والمدنية كما اهتمت بالنواحي الدينية فكانت الحضارة الإسلامية حضارة تمزج بين العقل والروح، فامتازت عن كثير من الحضارات السابقة. فالإسلام دينٌ عالمي يحض على طلب العلم وعمارة الأرض لتنهض أممه وشعوبه.

حيث تنوعت مجالات الفنون والعلوم والعمارة طالما لا تخرج عن نطاق القواعد الإسلامية؛ لأن الحرية الفكرية كانت مقبولة تحت ظلال الإسلام، وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتشع على بلاد الغرب وطرقت أبوابه، وهذه البوابة تبرز إسهامات المسلمين في مجالات الحياة الإنسانية والاجتماعية والبيئية، خلال تاريخهم الطويل، وعصورهم المتلاحقة.

**Abstract:**

Mosques in Andalusia represented part of the parts of architecture in Andalusia, so Muslims were keen to build palaces, castles and schools, and to make mosques a primary pillar for the emergence of those buildings that they built. The mosque's message was an important message in those forts and castles, in which political and military meetings are conducted

The interest of the Islamic state in the era of the Rightly-Guided Caliphate and the Umayyad Caliphate in science and civil as it was concerned with religious aspects, so the Islamic civilization was a civilization that mixed between the mind and the spirit, so it was distinguished from many previous civilizations. Islam is a global religion that urges seeking knowledge and building the earth so that its nations and peoples may rise.

Where the fields of arts, sciences and architecture varied, as long as they did not go outside the scope of Islamic rules; Because intellectual freedom was accepted under the shadows of Islam, and this existing civilization expanded after it had its banks and tributaries to shine on the countries of the West and knocked on its doors, and this gate highlights the contributions of Muslims in the fields of human, social and environmental life, during their long history and their successive eras.

لا يعتبر الحديث عن الفن المعماري الأندلسي الذى تأثر بالفن المشرقي ترفاً فكرياً، ولا ثقافياً، ولكن ضرورة بحثية، نظراً لأن مثل هذه الموضوعات التي تؤكد على الهوية الإسلامية، وعلى التكامل بين المشرق والمغرب في التاريخ، وعلى عمق الشخصية الإسلامية، وتعدد روافدها الثقافية.

فإذا كانت الدراسات التاريخية قد تناولت دور المشرق في نشر الحضارة الإسلامية ودوره في العلاقات الدولية وأفسحت المجال لدراسة أعلام الفكر والدين، فإن ميادين الحضارة المادية المشرقية المتمثلة في العمارة، والفنون والتي عكست الجانب الفكري والثقافي والعقائدي.(١)

شكلت سمةً بارزةً في التطور الحضاري لبلاد الأندلس مستفيدة من موقعها الجغرافي بكونها مجالاً للتفاعل الحضاري، ولمرور العديد من التيارات الثقافية على مر العصور، فالأندلس قد تأثر بعمق هذه العلاقة، وأصبحت الفنون المعمارية للمشرق الإسلامي سمة فعليه في أسوار وأبواب هذه المدن وفي مساجدها التي تمثل تراث ذلك الفن الأندلسي منذ عصور الفتح الإسلامي الأولى (٢)

حتى صار اسم الحضارة الأندلسية، يذكر مقروناً بحضارة المشرق الإسلامي في كثير من الأحيان، ولأن الاشكال المطروحة في التصميمات المعمارية أبرزت التأثير المشرقي في الأندلس في موقعه الصحيح، بعيدا عن كل أشكال الغلو والمبالغة في تقديره.(٣)

وثمة بعض الإشكاليات التي اردنا أن نبحث عن توضيح الإجابات الخاصة بها من أجل معالجة ما تهدف إلية هذه الورقة البحثية .. منها:

---

(١) إسماعيل عثمان عثمان: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ١٩٩٣، ج، ص ٤٢.

(٢) جورج مارسيه: الفن الإسلامي، ترجمة عفيف بهنسي منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٨، ص ١٣٧.

(٣) عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٢١.

**اولاً : ما أثر الهجرات المشرقية على العمارة الأندلسية؟**
**ثانياً : كيف تعددت فنون العمارة المشرقية في الأندلس؟**
**ثالثاً: كيف أظهرت المساجد الأندلسية فن العمارة المشرقية (مسجد المردود نموذجا) ؟**

اذا نظرنا اولاً إلى الهجرة فهي عند علماء اللغة : بالكسر والضم، وهى اسم من هَجَرَ يهجر هجراً وهجراناُ، وبعد النظر في المعاني المختفة لمشتقاتها، وجدت أن الهجرة تأتى فى اللغة بعدة معان منها.

**اولاً:** المفارقة والترك، والتقاطع، والهجر ضد الوصل، وتكون مفارقة الإنسان غيرهُ إما بالبدن أو اللسان أو القلب، وترك ما يلزم لقولة تعالى (واهجروهن في المضاجع )[١] وسمي المهاجرون مع النبي لتركهم ديارهم والإلحاق به في المدينة[٢]

**ثانيًا:** الخروج والسير والانتقال وهى الخروج من ارض إلى ارض أخرى، لذا يقال لمن خرج مهاجراً للحبشة أو المدينة ذو الهجرتين، وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن وانتقال الأفراد من مكان إلى اخر سعياً وراء الرزق[٣]

**ثالثًا:** الهذي والخلط: هجر المريض في كلامه إذا هذى وخلط [٤]

عرف العلماء اسم الهجرة اصطلاحاً : حيثُ تطلق كلمة الهجرة ويراد بها مضامين مختلفة، ويرجع سبب ذلك لاختلاف العلم الذى تدرس فيه أو

(١) (النساء) آية: ٣٤ – ٣٥.
(٢) الرازي: مختار الصحاح، ت محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص٧٠٥؛ ابن المنظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ٢٠١٠، ط١، ج٥، ص٢٥٠ .
(٣) الجوهري: الصحاح في اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ط١، ج٢، ص٤١٦؛ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، ٢٠٠٢، ج٦، ص٣٤.
(٤) الجوهري: مصدر سابق، ج٢، ص٤١٦؛ فيروز اباد: القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، ٢٠١٣، ج١، ص٦٣٧.

المعيار الذى عُرفت بناءً عليه في نفس العلم فالهجرة في علم السكان لها مفهوم وفي المصطلح الشرعي لها مفهوم اخر[١]

حيثُ تُحدُث الهجرات البشرية عندما تتحرَّك مجموعة أو أكثر من الناس من منطقة في العالم إلى أخرى، لأسباب مشتركة. والهجرات نوعان، إما اختيارية وإما اضطرارية، وتكون ضمن البلد الواحد من منطقة إلى أخرى، أو من الأرياف إلى المدن، أو ضمن القارة من بلدٍ إلى آخر، أو من قارة إلى أخرى[٢] .وللهجرة تأثير كبير على الإنسان والحضارة البشرية والكرة الأرضية. وبإلقاء الضوء على الهجرات الكبرى يصبح بإمكاننا أن نفهم بشكل أفضل مما يتيح لنا الوصول إلى أثر هذه النتائج على المجتمعات العمرانية وخاصة في بلاد الأندلس.[٣]

وقد مثلت هجرة المسلمين من أهل المشرق إلى بلاد الأندلس[٤] مركزاً للإشعاع الثقافي والحضاري، فاجتذبت العلماء والكتّاب والشعراء والفنانين والصناع المهرة. وقد اهتم الخلفاء والأمراء بنشر المدارس والجامعات (وأشهرها جامعة قرطبة)[٥]

---

(١) حماد شقفه وأخرون: دراسات في الجغرافية البشرية، مكتبة اليازجي، غزة، ٢٠٠٨، ص١١٥.

(٢) الهجرات الكبرى في التاريخ: مجلة القافلة، شركة أرامكو، السعودية، ٢٠١٦، ج٦٥، ص ص ٨١-٨٨.

(٣) الهجرات الكبرى في التاريخ: مجلة القافلة، ص ص٧٦-٧٨.

(٤) الأندلس: بلاد جَنوبِ إسبانيا، وهو الاسم الذِي أَطلقهُ العرب عَلَيْها حِينَ فَتَحوها ٩٢هـ/٧١١م، واسْتَقروا فِيها إلى غايةِ سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م أَهَم مدنها غرْناطة وإِشْبيلية وَقرْطبَة عَرَفَتِ الحضارة العرَبِية أَوجها في بلادِ الأندلسِ. انظر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٩٨٤م، ج٤، ص١٩٥، ج٦، ص٢٧٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج٥، ص٢١٣؛ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة الزهراء للإعلام العربي، ١ط،١٩٨٧، ص٧٧.

(٥) جامعة قرطبة : مثلت قرطبة قاطره العالم في العلم وقتها لما وجد بها من جامعة علمية من أشهر جامعات العالم وأكبر مراكزها العلمية المتواجدة في أوروبا، حيث كانت تدرس فيها العلوم المختلفة، وتخرج منها العديد من العلماء والأطباء أمثال الزهراوي والغافقي أحد مؤسسي طب العيون، وابن طفيل الفيلسوف والعالم العربي .انظر. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق =

وكان لوجود المسلمين في الأندلس أثر كبير خاصة على أخلاق الشعوب النصرانية فقد علموهم الكثير والكثير من أخلاق المسلمين وخاصة صفات التعامل المختلفة، مثل التسامح الذي هو أثمن صفات الأنسان، حيث بلغ حلم مسلمين الأندلس أن كانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر أشبيليه(١) الذي عقد سنة١٦٦هـ/٧٨٢م، ومؤتمر قرطبة الذي عقد سنة٢٣٨هـ/٨٥٢م(٢)، وتعد كنائس النصارى الكثيرة التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، فغدا اليهود والنصارى مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة(٣)

وكان الأثر الأكبر للهجرة واضحاً على المجتمع الأندلسي من خلال تطبيق رسالتهم الإنسانية في الحضارة فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيون الأراضي الميته، ويعمرون ما خرب من القرى والمدن، ويوثقوا العلاقات التجارية بالشعوب الأخرى، وشرعوا بدراسة العلوم المختلفة، وترجمة الكتب اليونانية واللاتينية، وإنشاء الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوربا زمناً طويلا كما أخذت حضارة العرب تنهض في الأندلس منذ ارتقاء عبدالرحمن الأول العرش. (٤)

---

=أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج٥، ص٢٣٥؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢، ج١، ص ٩٣.

(١) اشبيلية: هي قاعدة بلاد الأندلس وحاضرتها، ومدينة بها منارة في جامعها بناها يعقوب المنصور .انظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص١٩٥.

(٢) مؤتمر قرطبة: عقده الأمير عبد الرحمن الثاني في قرطبة ضم جميع أساقفة الأندلس برئاسة مطران أشبيلية ريكا فريدو في عام ٢٣٧هـ/٨٥٢م. انظر: محمد بشير راضي: التفاعل الحضاري بين أهل الأندلس المسلمين والإسبان النصارى في القرون الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥، ص ٨٨.

(٣) غوستان لوبون: حضارة العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،٢٠١٤، ط١، ص٢٧٧.

(٤) عبد الرحمن الأول : ينتسب عبد الرحمن الناصر لدين الله إلى بني أمية التي أسست الخلافة الأموية التي حكمت الأقطار الإسلامية بين عامي ٤١هـ-١٣٢هـ/٦٦١- ٧٤٩م، حين=

أي منذ انفصالها عن الشرق سياسياً بإعلان إمارة قرطبة سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م[١]

**ثانياً:** كيف تعددت فنون العمارة المشرقية في الأندلس؟

في سنة (٩١هـ/٧٠٩م) أرسل موسى بن نصير[٢] عاملًا على إفريقيا فعزم على فتح الأندلس، وأرسل طارق بن زياد البربري[٣] الأصل لمباشرة الفتح أول الأمر، فعبر طارق ابن زياد البحر بقصد فتح الأندلس.[٤]

وقد كان الفاتحون من قبائل العرب المختلفة، فمنهم العدنانيون من هاشميين وأمويين، ومنهم اليمنيون كقبيلة كهلان والأزد، وانضم إلى هؤلاء في الفتح مصريون

---

=أسقطها العباسيون واستطاع أحد أجداد الناصر وهو عبد الرحمن بن معاوية أن يفر إلى الأندلس مؤسساً دولة جديدة مستقلة عن خلافة العباسيين في المشرق، فنسبه هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. انظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ت براهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩، ج١، ص ص٩٩–١٠٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٠، ص ص ٤٤–٤٦؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهره،١٩٩٧، ج١، ص ٣٧٣.

(١) غوستان لوبون: حضارة العرب، ص ص ٢٧٠ – ٢٧٢.

(٢) موسى بن نصير: أبو عبد الرحمن موسى بن نصير( ١٩– ٩٧هـ/٦٤٠ –٧١٦م) قائد عسكري عربي في عصر الدولة الأموية، شارك موسى في فتح قبرص في عهد الخليفة معاوية ابن أبي سفيان، ثم أصبح واليًا على إفريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، واستطاع ببراعة عسكرية أن ينهي نزعات البربر المتوالية للخروج على حكم الأمويين. انظر. عنان : مرجع سابق،ج١، ص٥٩.

(٣) طارق بن زياد قائد عسكري مسلم، قاد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية خلال الفترة الممتدة بين عاميّ ٧١١ –٧١٨م بأمر من موسى بن نصير والي أفريقية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يُنسب إلى طارق بن زياد إنهاء حكم القوط الغربيين لإسبانيا. انظر الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢، ج٧، ص٣٣٠.

(٤) عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨١، ط٢، ص٢٣.

وشاميون وعراقيون وجمع كبير من البربر. وقد امتزج هؤلاء جميعًا ببعض أهل البلاد من قوط وإسبانيين وغيرهم إما بالمصادفة أو بالمصاهرة. (١)

وقد ساد المجتمع الأندلسي عناصر أربعة:

- (١) العرب: وكانوا يحسون إحساسًا قويًّا بأرستقراطي تهم لغلبتهم على الإسبانيين والبربر وإدخالهم في الإسلام، وبلغتهم التي تفوق غيرها.
- (٢) البربر: وهم يشاركون العرب في البداوة والإسلام والعصبية القبلية والشجاعة؛ ولذلك وجد منهم العرب الأمرَّين عند فتحهم للمغرب.
- (٣) الإسبان: وهم مسيحيون كاثوليك، يرون أن البربر والعرب دخلاء عليهم وأنهم أحق بملك بلادهم.
- (٤) المسلمون المولَّدون من تزاوج العرب بالبربر، أو العرب بالإسبانيات والصقالبة، وكان لذلك سبب كبير، وهو أن الجيش الفاتح كان من الرجال النازحين من الشرق الذين قطعوا مسافات بعيدة حتى وصلوا إلى الأندلس، فكان طبيعيًّا ألا يرحل معهم عدد كبير من النساء، فاضطرتهم الحاجة إلى أن يتزوَّجوا من الإسبانيات أو من البربر ويستولدوهن. وقد خرج من هذا الازدواج بين عربي وبربرية، أو عربي وإسبانية جيل جديد مولَّد، يشبه ما كان في الشرق من تزاوج بين عربي وفارسية، وقد عرف المولدِون من النساء الإسبانيات بالذكاء والشجاعة والجمال، وكان لهم في تاريخ الأندلس تاريخ طويل.(٢)
- وكان لهذا المزيج البشرى من سكان الأندلس أثر كبير في تميز العمارة الإسلامية وتنوع اشكالها، واهتمامها بالنواحي الحياتية المختلفة، حيث ظهرت المباني الدينية من مساجد ومدارس وتكايا وزوايا ودور الصوفية، وأبنية مدنية

(١) احمد امين: ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ٢٠١٦، ج٣، ص٥.

(٢) احمد امين: المرجع السابق، ج٣، ص ص٥-٧.

كالدور والقصور، وأبنية عامة كالبيمارستانات والخانات (محطات استراحة المسافرين)، والحمامات والأسواق.(١)

كما ظهر الاهتمام بالحدائق والسبُل المائية على صعيد تخطيط المدن إضافة إلى العمارة العسكرية، وبُنيت القلاع والتحصينات والأربطة (قلاع دفاعية تقام على امتداد الشريط الساحلي).(٢)

لم يقتصر غنى العمارة الإسلامية على تنوع ماهيات الأبنية وموضوعاتها؛ بل تميزت بغنى مفرداتها وعناصرها المعمارية، فمن هذه العناصر القباب domes/cupolas والقبوات والعقود vaults بمختلف أشكالها (أنصاف الدائرية penannulars، والمدببة pointed arches، والحدوية horseshoe arches، والمفصصة multifoil ...)، والأقواس arches والمآذن minarets والمحاريب niches والأروقة porticos، والعناصر الانتقالية للقباب من مثلثات كروية pendentives ومقرنصات stalactites، والفراغات الداخلية المكشوفة، والعناصر المائية fountains فيها،(٣) والسُبل المائية الموزعة في أحياء المدن، والفسقيات (البحرات الداخلية)، والأواوين iwans (غرف جلوس ثلاثية الجدران تطل على الفناء)، وعناصر الزخرفة ornaments المختلفة. وبرز شأن الكتابة inscription العربية عنصرًا زخرفيّا في مختلف الأبنية ورمزاً من رموز الديانة الإسلامية، وهي لغة القرآن الكريم.(٤)

وقد ابتكر المسلمون أنواعاً من الآلات الميكانيكية لرفع الثقل الكبير بالجهد اليسير، أولجره منها ولو كانت الحجارة كبيرة ترفع إلى أعلى المبنى بحبال معلقة على

(١) عفيف بهنسي: خطاب الأصالة في الفن والعمارة، دار الشرق، دمشق، ٢٠٠٤، ص ٢١٣.

(٢) عمرو إسماعيل محمد: تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون، وكالة الصحافة العربية، مصر، ٢٠١٩، ص ص١٢١-١٢٣.

(٣) هبة الحداد: مدخل إلى تطور فن عمارة النوافذ في تاريخ العمارة الإسلامية، مركز رويال اكلس للدراسات والابحاث، الكويت،٢٠١٥، ص ص ٢٣ -٢٥.

(٤) عفيف بهنسي: مرجع سابق، ص١١٥؛ جورج مارسيه، الفن الإسلامي، ص١٧٨.

مجموعة من البكرات بحيث يجرها ثور واحد، فيرفعها بسهولة إلى أعلى واستفاد المعماريون الأندلسيون من علم الكيمياء الذي تفوق فيه.(١)

المسلمون وطوروه، فصنعوا أنواعاً من الدهانات والأصباغ التي تتميز بالثبات والبريق، ومن المعروف أن العرب أول من استعمل الزجاج الكريستال الذي ابتكره العالم الأندلسي عباس بن فرناس سنة (٢٧٤هـ/٨٨٧م)(٢)، كما استعملوا في النوافذ الزجاج الملون والمعشق في أشكال هندسية في غاية من الحسن والجمال.(٣)

وأما المساجد فقد كانت جزءًا من أجزاء الفن المعماري في بلاد الأندلس فكان المسلمون حريصين على أن يبنوا القصور والقلاع والمدارس، وأن يجعلوا المساجد دعامة أولي لنشأة تلك المباني التي بنوها، فقد كانت رسالة المسجد رسالة مهمة في تلك الحصون والقلاع، ففيها تدار الاجتماعات السياسية والعسكرية ، وكان فيها من المرافق والملحقات ما كان مهماً لوجوده في هذه المباني الشاهقة.(٤)

وتعتبر المآذن من أهم المعالم الأندلسية الإسلامية، فهي تبدو وكأنها أذرع ممتدة بالدعاء والضراعة نحو السماء، فالمآذن تختلف في أشكالها وأنواعها حسب العصور

---

(١) ليفي بروفنسال: الأندلس، دائرة المعارف الإسلامية (كتاب الشعب) النسخة العربية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، القاهرة، مطبعة الشعب، ١٩٣٣م، ج٥، ص٣١٠؛ كمال السيد أبو مصطفي: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين الموحدين، الإسكندرية: مطبعه الإشعاع، د/ت، ص١٠٩.

(٢) عباس بن فرناس: أبو القاسِم عبَاس بن فرناس بن وِرداس التاكِرني هو عالم مخترع موسوعي مسلم أندلسي ولد في رندة بالأندلس، في زمن الدولة الأموية في الأندلس، واشتهر بمحاولته الطيران انظر: سعيد المغربي الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ت شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣ ،١٩٥٥، ج٢، ص١٣٢؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج١، ص٥٠٥.

(٣) شريف عبد الرحمن جاه: لغز الماء في الاندلس، ترجمة زينب بنياية، هيئة أبو ظبى للسياحة والثقافة، الامارات، ط١، ٢٠١٤م، ص١٦٢.

(٤) المهدي رمضان البشير: فنون عمارة المساجد التاريخ والوظيفة، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، ليبيا،٢٠١٥، ص ص ١٥–١٨.

والبلدان، فمنها المربع والمثمن والدائري، وكانت المآذن الأولى شبيهة بالمنارات الرومانية، وعندما أراد المعماريون المسلمون بناء مآذن أكثر ارتفاعاً ابتكروا المئذنة المتحورة التي تبدأ في القاعدة بأدوار مربعة، ثم تعلوها أدوار مثمنة، ثم علو الاسطوانة الدائرية.(١)

وكانت المآذن في بلاد الأندلس لها شيء من الخصوصية والجمال ، فكانت عالية البنيات واسعة من الداخل، بل كانت بعض المآذن كمئذنة جامع إشبيلية واسعة جداً من الداخل، فلا يوجد فيها سلالم إنما يوجد فيها طريق معبد يمكن للخيول والبغال والحمير أن تمر من خلاله لرفع ما يريد المسلمون رفعه إلى أعلى تلك المآذن.(٢)

وأما الأبراج الأندلسية فقد كانت تنقسم إلى قسمين ، أدنى مسمط وأعلى توجد فيه غرف يمكن أن يشغلها المدافعون، وفيها أماكن يمكن أن ترمى السهام من خلالها وكانت هذه الحصون والقلاع والأبراج ممتدة في الأراضي الأندلسية لتدل على ما كانت تشكله تلك الحصون والقلاع من حماية بالغة الأهمية للمدن الإسلامية، وكانت تشعل فيها النيران ليلاً ويوقد فيها الدخان نهاراً كعامل تنبيه للمسلمين من خطر محدق بهم. وقد جعل المرابطون في أسفل هذه الأبراج طرقاً متعرجة يمكن من خلالها أن يحاصروا العدو إذا دخلها، وكان يوضع فوق هذه الأبراج الزيت المغلي الذي يمكن من خلاله أن يصب على رأس العدو الذي يقف في الخارج وقد بنى المسلمون في الأندلس أكثر من (٤٠٠) قلعة لتكون شاهدة على التميز العسكري الذي عرف به المسلمون. (٣)

(١) المهدي رمضان البشير: فنون عمارة المساجد التاريخ والوظيفة ، ص١٢٣.
(٢) عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانية والبرتغال، ص٤٥.
(٣) توفيق سلطان اليوزبكي: الحضارة العربيّة في الأندلس وأثرها في أوربا، مجلة آداب الرافدين، ٢٠٠٧، العدد ١٣، ص ص٩-٣٦.

ومن الطريف ما يذكر أن قلعة جابر إحدى القلاع الشهيرة الواقعة على حدود مدينة إشبيلية استخدمت أيضا كسجن يسجن فيه اصحاب التهم المختلفة، وهذا أحد الشعراء الذين سجنوا في هذا السجن يتغنى بسجنه، مبينا ما كانت عليه السجون من جمال حيث تقع بين الخضرة والماء ، فقال :

ألا يا سقى الرحمن قلعة جابر **** فكم لي فيها من ليال زواهر

محلي الذي ما زلت أشدو بذكره *** إذا ما شدا مغري بهند وساحر

فلله منها كل غصن وطائر ***** ولله فيها كل خد وناظر [١]

وقد كان للبعد الفكري أثر كبير في العمارة الإسلامية

حيث تزينت الأندلس بالمنشآت المعمارية ذات الشأن، وانقسم تاريخها إلى ثلاث مراحل معمارية، بدأت المرحلة الأولى بجامع قرطبة، الذي تم بناءه في القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي، ويظهر ذلك باهتمام عبد الرحمن الداخل[٢]

بتنظيم قرطبة لتتلاءم مع مكانة الدولة وعظمتها، فجدد معانيها وشد مبانيها وحصُنها بالسور، وبنى قصر الإمارة، والمسجد الجامع ووسع فناءه، ثم بنى مدينة الرصافة وفقاً لفن العمارة الإسلامية[٣] في الشام سواءً في زخارفها المعمارية أو في بعض عناصر بنائها، وفي نظام عقودها، كما بنى قصر الرصافة[٤]

(١) عنان: مرجع سابق، ص٧١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوطأ، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٨، ط١، ص٢١١.

(٣) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ج٢، ص١٥.

(٤) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص٢٠٦.

احد مداخل مسجد قرطبة(١)

**مئذنة مسجد قرطبة**

(١) عبد العزيز الدولاتى: مسجد قرطبة وقصر الحمراء، دار الجنوب، تونس،١٩٧٧، ص١٤٣.

وقُيل أن قرطبة بوقتها كانت تحتوي على مئتي ألف قصر وستمائة مسجد وسبعمائة حمام، وكانت طرقها مرصوفة بالحجارة ومحفوفة بطوارين على الجانبين،(١) وكانت تُضاء في الليل حتى يقال إن المسافر كان يستطيع أن يسير على ضوء المصابيح وبين صفين من المباني مسافة عشرة أميال. (٢)

ولم يغفل الخلفاء والأمراء في بناء الجسور على الأنهار ومد قنوات مياه الشرب إلى المنازل والقصور والحمامات إضافة إلى الحدائق والمتنزهات التي تزينها برك الماء المتدفق. والحمامات إضافة إلى الحدائق والمتنزهات التي تزينها برك الماء المتدفق.(٣)

والمرحلة الثانية والتي تمثلت في منارة إشبيلية، التي أنشأها الموحدون في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر الميلادي. (٤)

حيث تمثل فيها فنون العمارة الإسلامية في شكل مئذنة مسجد إشبيلية الجامع فترة حكم المسلمين وقد بناها الخليفة المنصور أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن (ت ٥٩٥هـ/١١٩٩م)(٥) بطل معركة الأرك.(٦)

---

(١) مؤلف مجهول :وصف جديد لقرطبة، ص١٦٨؛ المقري : نفح الطيب ،ج١، ص ٥٤٠؛ عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانية والبرتغال، ص ص ٢٣-٢٦؛ محمد عبد الوهاب خلاف: قرطبة الاسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي – الخامس الهجري الحياة الاقتصادي والاجتماعية، مكتبة المهتدين، تونس، ١٩٨٤، ص٤٩ .

(٢) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ص ٢٠٥- ٢٠٨.

(٣) عمرو إسماعيل محمد: تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون، ص ١٢٣.

(٤) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٠٩.

(٥) ابو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله أو اختصاراً: يعقوب الخليفة الموحد أو يعقوب المنصور سلطان وثالث خلفاء الموحدين ببلاد المغرب توفي٥٩٥هـ/١١٩٩م. انظر. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص ص ٣٧٣-٣٧٨.

(٦) معركة الأرك: هي معركة وقعت في ١٨ يوليو ١١٩٥ بين قوات الموحدين بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور وقوات ملك قشتالة ألفونسو الثامن. كان للمعركة دور كبير في توطيد حكم الموحدين في الأندلس، وتوسيع رقعة بلادهم فيها. انظر. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٦، ص ٢٤٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٣٧؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج ٢، ص٨٤؛ وستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٢٨٣.

وقد أزال النصارى الكرات التي كانت تسمى التفحات ووضعوا مكانها الصليب والجرس وذلك بعد سقوط إشبيلية وتحويل المئذنة إلى برج أجراس وهدم أجزاء كثيرة من المسجد وتحويله إلى كاتدرائية. وقد زيدت على المئذنة في عصر النهضة، وهكذا تبدو مئذنة إشبيلية الآن أو كما يسميها الإسبان الخيرالده [١]

الخيرالدة، منارة إشبيلية.[٢]

(١) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ص ٢٠٨.
(٢) محمد كرد على: غابر الأندلس وحاضرها، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، مصر،٢٠٢١، ص٨٣.

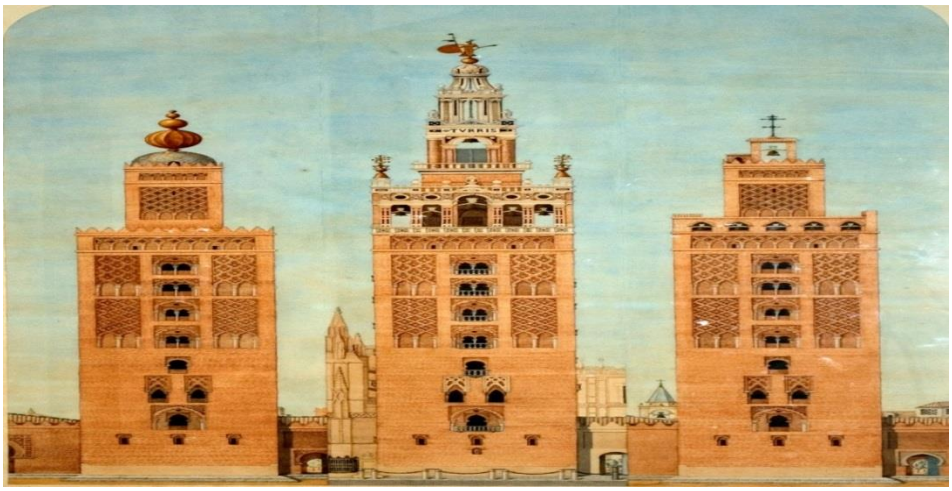

مراحل تغيير المئذنة لتكون برج أجراس الكتدرائية : العصر الإسلامي (يسار)، العصر المسيحي (يمين)، عصر النهضة (في الوسط) مراحل تغيير المئذنة لتكون برج أجراس الكتدرائية

**بينما اشتملت الثالثة :**

على قصر الحمراء في غرناطة، الذي شُيد في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر الميلادي، وكان بمثابة عنوان صريحًا لما انتهت إليه العمارة الأندلسية، من سِمات العمارة المغربية الإسلامية الواضحة في أبنية القصر.(١)

استخدام العناصر الزُخرفية الرقيقة في تنظيمات هندسية كزخارف السجاد، وكتابة الآيات القرآنية والأدعية، بل حتى بعض المدائح والأوصاف من نظم الشعراء كابن زمرك، وتحيط بها زخارف من الجص الملون الذي يكسو الجدران، وبلاطات القيشاني الملون ذات النقوش الهندسية، التي تغطي الأجزاء السفلى من الجدران.(٢)

---

(١) عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانية والبرتغال ص ٣٩؛ عبد العزيز الدولاتي: مسجد قرطبة وقصر الحمراء، ص٢١٣.

(٢) عبد العزيز الدولاتي: مرجع سابق، ص٢١٥.

يعد مسجد قصر الحمراء من أكثر الآثار الإسلامية إبداعاً ويقع على أطراف جنوب مدينة مدريد، بناه الملك أبو عبد الله محمد الأول بن الأحمر [١] في القرن الـ١٠ في مملكة غرناطة على قمة تلة السبيكة، وكان ذو موقع استراتيجي يطل على كل أنحاء المدينة. استمر بناء المسجد أكثر من ١٥٠عاماً، وزينته الزخارف الدقيقة والآيات القرآنية والمدائح النبوية، كما ضمت جدرانه وأعمدته قصائد شعرية ترجع للعصر الذهبي للأندلس.[٢]

قيل أن القصر سُمي بالحمراء لأنه مشتق من بني الأحمر الذين كانوا يحكمون غرناطة، فيما قال مؤرخون آخرون أن الاسم يرجع إلى التربة الحمراء للتل الذي بُني عليه المسجد، وعلى أنقاض المسجد بنيت كنيسة سانتا ماريا.

مسجد قصر الحمراء (كنيسة سانتا ماريا حاليا) [٣]

(١) ابو عبد الله محمد الأول (٥٩٥-٦٧١) (١١٩٨-١٢٧٣) هو الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن الأحمر، المعروف بابن الأحمر، من بني نصر أو بني الأحمر المنحدرة من قبيلة الخزرج الأزدية القحطانية، مؤسس دولة بني نصر بالأندلس والسلالة الحاكمة فيها. حكم مملكة غرناطة بين عامي.(١٢٣٨- ١٢٧٣) انظر: ابن خلدون العبر، ج٤، ص١٧٠.

(٢) عنان، مرجع سابق، ص ص١٦٠-١٦٥.

(٣) عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانية والبرتغال، ص٢٠٨.

ولم تقتصر العمارة في بلاد الأندلس على التشييد فقط وانما امتدت الى مجالات اخرى كما كان في غرناطة التي مثلت مركزاً لصياغة الذهب والفضة واستعمل الذهب في التزيين فطُلِيتْ به أبواب المساجد والقصور وقطع الأثاث، وما تزال صناعة التنزيل بخيوط الذهب على القصدير والنحاس والرصاص قائمة حتى اليوم في طليطلة وغيرها من المدن الإسبانية. (١)

وإذا كانت اللغة العربية وعلومها وفنون الكتابة (الخط العربي) من الأمور المهمة التي أدخلها العرب المسلمون إلى الأندلس فقد نقل هؤلاء معهم كذلك ذوقهم في تنسيق الحدائق ومعرفتهم بالنواعير وطرائق رفع المياه والتحكم فيها مازالت آثار ذلك على النهر الكبير في قرطبة)، كما نقل العرب معرفتهم في صناعة السلاح من سيوف وخناجر ومِدى بمقابضها ونصولها الغنية بالزخارف الإسلامية.(٢)

وكانت بلاطات الخلفاء والأمراء في الأندلس مركز إشعاع ثقافي حضاري، فاجتذبت العلماء والكتّاب والشعراء والفنانين والصناع المهرة. وقد اهتم الخلفاء والأمراء بنشر المدارس والجامعات (وأشهرها جامعة قرطبة) والمكتبات العامة (وأشهرها مكتبة الخليفة الحكم) وبناء الأسواق والمشافي والحمامات العامة وملاجئ الفقراء(٣)

## مسجد باب المردوم (نموذجًا)

يقع مسجد باب المردوم في مدينة طليطلة التي تقع في وسط إسبانيا، عند مرتفع تحيط به أودية عميقة، تتدفق منها مياه نهر تاجة، التي تعلو مدينة طليطلة أو توليدو Toledo، التي أُنشئت في زمن الإغريق وازدهرت في عهد الرومان، وانتصرت

(١) طليطلة Toledo: مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة تسعُ مراحل وكانت عاصمة المملكة القوطية افتتحت من قبل طارق بن زياد (٩٢ هـ/٧١١م) ثم أصبحت بعد الفتح الإسلامي من أهم القواعد الإسلامية وهى أول قاعدة اندلسية هامة سقطت في أيدى النصارى. انظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج٤، ص٣٩.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،ج١، ص ٩٣.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٥،ص٢٣٥؛ جرجي زيدان: مرجع سابق، ج١، ص ٩٣.

سياسيًا على سائر مدن الأندلس أيام الفتح الإسلامي، ولذلك تحتل هذه المدينة مكانه كبيره عند العرب، وتحظى باهتمام واسع لدى الباحثين في الأندلس حيث استمرت ما يقارب ٨٠٠ عام، فهي من أهم الشواهد التي تظهر الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس، وما شهدته من ازدهار وتطور في شتى المجالات العلمية والفنية والمعمارية.(١)

نهر تاجة في طليطلة(٢)

ولهذه المدينة أهمية كبيرة من حيث تنوع المشهد الحضاري فيها، إذ يجد الباحث في أزقتها القديمة شوارع ضيقة مرصوفة بالحصى، وأزقة حادة تضم بين جنباتها موروثًا ثقافيًا ومعماريًا هائلًا، من بينها قلعة رومانية يعود تاريخها إلى ٢٠٠٠ عام، كما اتخذ القوطيون الغربيون من مدينة طليطلة عاصمة لهم في القرن السادس الميلادي، وكانت في العصور الوسطى بوتقة لانصهار المسلمين والمسيحيين واليهود، نتج عنه اندماج متناغم من تأثيرات الديانات الثلاث، إضافة إلى كونها عاصمة بني

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي إلى السقوط، ص ص ٧٨– ٧٩.

(٢) شريف عبد الرحمن جاه : لغز الماء في الأندلس، ص٦٣.

ذي النون[١]، وهم من ملوك الطوائف وإن من أبرز معالم العمران العربي المسلم في طليطلة مسجد باب المردوم.[٢]

**موقع مسجد باب المردوم**:

يقع في حي سان نيكولاس بمدينة طليطلة في الأندلس أمام أحد أبواب المدينة القديمة وهو باب المردوم وهى بوابة : يطلق بالإسبانية–Puerta Bab al ) : (Mardum أو بوابة بالماردون بالإسبانية(Puerta de Valmardón : هي أحد المداخل الرئيسية في مدينة طليطلة في إسبانيا .تم بناءها في القرن العاشر، وربما تعد البوابةُ الأقدم في المدينة. ويقع على مقربة منها مسجد باب المردوم[٣]

وهي بوابة تدل على فن المعمار قديمًا. وقد استمدت وظيفتها من الجهة الأخرى لها والتي تحمل اسم بويرتا ديل سول أي بوابة الشمس. وربما كانت تحمل اسم المردوم، والذى مازال قائما، ويعرف هذا الجامع اليوم باسم باب مردوم Bib Mardom [٤]

(١) بنو ذي النون: نشأت في قبيله كندة الأندلسية، من أصول بربرية كانوا يخدمون الدولة العامرية وكان أحد أفراد عبد الرحمن بن ذي النون يتولى أمر مدينة شمنترية، فاستدعاه أهل طُلَيْطُلَة لتولى الحكم، وتسيير الأمور في عام (٤٢٧هـ/١٠٣٦م). انظر. ابن عزاري: البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦؛ ابن خلدون: العبر، ت خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ط٢، ١٩٨٨م، ج٢، ص٣٢٧ .

(٢) نهر تَاجهTogo: ينبع من جبال البرت، وينصب في المحيط الأطلسي، وتقع عليه مدينة طُلَيْطُلَة، ولشبونة، هذا النهر يخرج من ناحية الجبال المتّصلة بالقلعة ومدينة طَلَبِيْرَة، انظر: الامير شيب ارسلان: الحلل السندسية في اخبار والاندلسية، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٦ج١، ص ٢٨؛ عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص٤٧.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي إلى السقوط، ص٢٣٤.

(٤) عنان: الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ص ص٤٧–٤٨.

**بوابة باب المردوم من الخارج**

## تاريخ بناء المسجد

بُنى المسجد في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، في عصر ملوك الطوائف في عام ٣٩٠هـ/٩٩٩م[١]

يعلو واجهة جامع بابا لمردوم نقش كتابي تاريخي من قطع آجرية بارزة في إفريز يقع بين صفين من الأسنة البارزة من نفس المادة، تم اكتشافه في الوجهة الغربية للمسجد باب المردوم مكتوب عليها: "بسم الله الرحمن الرحيم أقام هذا المسجد أحمد بن حديدي من ماله ابتغاء ثواب الله فتم بعون الله على يد موسى بن على البناء وسعادة فتم في المحرم سنة تسعين وثلث مائة."[٢]

(١) باسيليو بابون مالدونادو: الفن الطليطلى الإسلامي والمدجن، ص ١٠٤.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي إلى السقوط، ص ص٢٢٨-٢٣٠.

**الواجهة الرئيسية لمسجد باب المردوم.**

ونجد أنه قد تم البناء لمسجد باب المردوم تحت إشراف المهندس موسي بن على، وتولى السيد أحمد بن حديدي سداد نفقات البناء من ماله الخاص. وأسرة بنى حديد أو بنى حديدي كانت أسرة مشهورة في طُلَيْطُلَة (١)

وكان أحمد بن حديدى المنفق على هذا المسجد من أحد أعيانها، وتولى الوزارة أيام إسماعيل بن ذي النون ملك طُلَيْطُلَة وقد اشتهر أمر ابن حديدي الذى قتل على يدي القادر بالله يحيى بن ذي النون ملك طُلَيْطُلَة (٤٦٧ – ٤٧٢هـ/١٠٧٥–١٠٧٩م). وهاجرت هذه الأسرة إلى مصر عقب سقوط طليطلة وقد تولى أحد أفرادها

(١) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص٢٣٠.

وهو مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد منصب قاضى الإسكندرية في العصر الفاطمي. (١)

**وصف جامع باب المردوم**:

يُعدُ مسجدُ باب المردوم نموذجاً لما كانت عليه المساجد في الأندلس في العصر الأموي. فعلى الرغم من صغر مساحة مسجد باب المردوم فإنه يُعْتَبَر أهمُ مسجدٍ في الأندلس بعد جامع قرطبة(٢)، لاحتفاظه بقباب تسعة، قائمة على الضلوع المتقاطعة، تمثل أولى مراحل التطور التي مرت بها قباب جامع قرطبة.

**جامع قرطبة .. المسجد الجامع، من أهم آثار الحضارة الإسلامية في الأندلس، بناه عبد الرحمن الداخل(٣)**

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي إلى السقوط ، ص٢٣١.

(٢) جامع قرطبة: يقع المسجد الجامع في قرطبة فوق بقعة صخرية تقع جنوبي غربي المدينة على مقربة من القنطرة العربية القديمة على نهر الوادي الكبير، وتحيط به الدروب الضيقة من جوانبه الأربعة. انظر: باسيليو بابون مالدونادو: قرطبة ومساجدها، ترجمة على منوفي، الامارات، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط١ ،٢٠١١، ص٧.

(٣) باسيليو بابون مالدونادو: المرجع السابق، ص ص ٧–٨.

ومسجد باب المردوم مسجد صغير لا يزيد طول ضلعه على ثمانية أمتار، وفي جنوبه بروز المحراب، وكان مربعًا من خارجه في الأصل، فلما حولوا المسجد إلى كنيسة بنوا جدارًا مستديرًا لينشئوا وراءه ما يحتاجه مصلب الكنيسة ومذبحها من غرف صغيرة. والمسجد في هيئته الأولى مربع تقوم كل من واجهاته على ثلاثة عقود ضخمة عالية من الحجر، بداخل كل منها باب أصغر على هيئة عقد مستدير، وهذه العقود تحمل فوقها صفًا من النوافذ عربية على هيئة بوابات زخرفية، ولا شك أنها كانت مغطاة بالزجاج على أيام حكم المسلمين لتفيض النور داخل المسجد، والآن تسد هذه النوافذ بألواح خشبية ذات فتحات مربعة تسمح بمرور الضوء إلى داخل المسجد.(١)

وكان للمسجد قبة صغيرة تقوم على أربعة أعمدة ضخمة في وسطه، وقد ازيلت القبة الآن، ولكن أجزاء السقف حولها مزينة بدعامات من الحجر المتقاطع، تدلنا على أن قبته كانت تشبه في هيئتها القباب الصغيرة التى توجد مثيلتها في جامع قرطبة. فإذا أفضيت إلى داخل المسجد وجدت صحنًا صغيرًا في وسطه الأعمدة الأربعة التي أشرنا إليها.(٢)

(١) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ص١١٤.

(٢) ليفي بروفنسال: الأندلس، ص١٥٦.

**وصف جامع باب المردوم**:

يقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم[١] في وصف مسجد باب المردوم: "والمسجد مربع الشكل على نظام الكنائس البيزنطية لا يتجاوز طول الجانب منه ثمانية أمتار، وقد شيدت جدرانه من الحجر الجراني والآجر وفقًا للأسلوب الذي اختصت به طليطلة.

ويتكون المسجد من ثلاثة رواقات طولية تقطعها ثلاثة أروقة عرضية بحيث يحدث من ذلك التقاطع تسعة أساطين، تفصل بينها أربعة أعمدة تيجانها قوطية قديمة، يتفرع منها اثنا عشر قوسا على شكل حدوة الفرس، ويعلو كل أسطوان من الأساطين التسعة قبة تتقاطع فيها الأقواس على نحو ما رأيناه في قباب قرطبة، والقبة الوسطى أكثر من القباب الأخرى ارتفاعا، ونظام التقبيب يقوم على تقاطع الضلوع المتجاوزة في صور مختلفة، منها ما يمثل شكلا رباعيًّا منحرفًا ذا أقطار، بحيث يبدو

(١) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي إلى السقوط، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م، ص٦٧.

كما لو كان قبوتين من الطراز القوطي إحداهما داخل الأخرى، ومنها ما يبدو على شكل مثمن، ومنها ما يقلد تقاطع القبة المخرمة الكبرى بجامع قرطبة.(١)

وتعرض قباب جامع باب المردوم تطورًا لقباب قرطبة نحو الزخرفة. أما واجهة المسجد الرئيسية وهي الواجهة الجنوبية الغربية، فتطل على الطريق المؤدي إلى باب مردوم بثلاثة عقود، وفي أعلاها النقش الكوفي.(٢) والقوس الأيمن من هذه الأقواس متجاوز على شكل حدوة الفرس، على مثال عقود جامع قرطبة. والقوس الأيسر مفصص أما الأوسط فمجدد، ويعلو الأقواس الثلاثة التي تعتبر أبوابا لبيت الصلاة، بائكة صماء من أقواس متقاطعة ويتوج هذه البائكة الزخرفية إفريز بداخله شبكة مخرمة من المعينات. أما الواجهة التي تطل على صحن المسجد فتتألف من ثلاثة عقود متجاوزة بمثابة أبواب، تعلوها ستة أقواس متجاوزة صماء يتناوب فيها اللونان

(١) علي أدهم: المعتمد بن عبَّاد، الإدارة العامة للثقافة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة، مصر، ٢٠٠٠، ص ص ٩٦–٩٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٦٨.

الأبيض والأحمر نتيجة لتعاقب قوالب الحجر والآجر على نظام أقواس جامع قرطبة."[١] يشبه شكل مسجد باب المردوم الهندسي مسجد بوفتاتة في سوسة، والذي تم بناؤه بين عامي ٢٢٣– ٢٢٦هـ/ ٨٣٨ –٨٤١م.

(١) سحر السيد عبد العزيز سالم: بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص١٥٥.

ومسجد الأبواب الثلاثة في القيروان، والذي تم بناؤه عام ٢٥٢هـ/٨٦٦م، مما يؤكد استنباط الشكل من أسلوب ميز العصر الوسيط.

## مسجد الأبواب الثلاث في القيروان[١]

كما أن هناك تشابه معماري يميز مسجد باب المردوم، يكمن في المسجد الجنائزي في طابا في مصر، والذي تم بناؤه عام ٣٣١هـ/ ٩٤٣م. وهناك أيضًا بناءان في مصر يحتويان على مزايا متشابهة، وهما مسجد القبلة الجنائزي وضريح "سبعة وسبعين واليًا" في أسوان (دمر عام ١٩٠١م). ويعتبر مسجد باب المردوم النموذج الأندلسي لنوع الأبنية تحت القبب.[٢]

## مسجد باب المردوم معلم إسلامي

رغم أن الكثير من المعالم الإسلامية في طليطلة قد تم محوها من طرف ملوك قشتالة المتعاقبين، إلا أن هذا المسجد لايزال شاهداً على تاريخ المدينة المفقود بشكل فريد، وهو مسجد إسلامي بطراز عربي بحت، يفند الأساطير القشتالية من أنه كان مؤسسا على كنيسة قديمة، بدليل أنه في ٢٢ فبراير سنة ١٨٩٩م تم تدمير الحائط الخارجي الذي كان يغطي البناء الإسلامي، فتم اكتشاف كتابة عربية منقوشة على الواجهة الرئيسية للمسجد مؤكدة الهوية الإسلامية لمشيد هذه المعلمة الإسلامية.[٣]

---

(١) مسجد الأبواب الثلاثة: يعرف هذا المسجد الصغير أيضا باسم مسجد ابن خيرون، وقد بناه تاجر أندلسي مقيم بالقيروان، ويعد من أنذر المساجد التي وصلتنا من تلك الفترة. يتميز المسجد بواجهته ذات الأبواب الثلاثة التي تعلوها أقواس متجاوزة والتي تعد أقدم واجهة مزخرفة لمسجد بالعالم الإسلامي. يحتمل أنها تستمد أصولها من واجهة أبو فتاتة بسوسة (٢٢٤-٢٢٦هـ/٨٣٨-٨٤١م) حيث نجد لأول مرة ببلاد إفريقية كتابة كوفية ذات نقش بارز على شريط مائل: انظر. محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ص ص ٧٦-٧٨.

(٢) محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ص ص ٥٦-٥٩

(٣) داليا راشد: مسجد باب المردوم، موقع أندلسي. ٢٠١٥/٠٣/٣٠

**باب المردوم والنقش من الداخل.**(١)

فبعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م منح المسجد لفرسان القديس يوحنا،(٢) ثم تم تحويله إلى كنيسة نور المسيح، واليوم بعد تحويله إلى مزار سياحى، وأصبح اسمه "مسجد نور المسيح Mezquita Cristo de la Luz". بعد أن حوِّل المسجد إلى كنيسة، أضيفت إليه فى الجانب الشرفى حنية مدجنة، وأطلق عليه اسم سانتا كروث Santa Cruz، ووهبه ألفونسو الثامن لإحدى الجمعيات الدينية، ويسمى اليوم النصارى الكنيسة القائمة على أرباعه: "مسجد القديس نور المسيح "، وأشير هنا إلى الاحتفاظ بكلمة مسجد؛ حيث يدعي القشتاليون أن

(١) باسيليو بابون مالدونادو: كتاب الفن الإسلامي في الأندلس، علي إبراهيم منوفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ص٢١٣ –٢١٦.

(٢) فرسان القديس يوحنا: بدا ظهروهم بعد ما حاصر سانشو راميرث ملك أراغون قونقة، وكاد أن ينتزعها لولا افتدائها بالمال من قبل أهلها. اضطر القادر للتنازل عن أموال وقلاع لصالح ألفونسو السادس ملك قشتالة لحمايته. وفي عام ٤٧٢ هـ، ثار أهل طليطلة على القادر، ففر إلى وبذة، واستدعى أهلها المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس لحكم المدينة، إلى أن أنجده ألفونسو السادس بجنوده ليستعيد المدينة بعد ١٠ أشهر. انظر. عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، ص ١٠٨.

ألفونسو السادس الذي أخذ طليطلة من يد المسلمين ذهب إلى مسجد "باب المردوم" فانحنى به فرسه، وجلس تحت حجارة يشع منها نور، فلما حمل الحجر وجد صورة ذات نور شديد تعود لفترة ما قبل الدخول الإسلامي للأندلس ٩٣ هـ/ ٧١١م. فسموه بهذا الاسم! ولاتزال الكثير من الحفريات جارية إلى يومنا بين أنقاض المسجد، غير أن الباحثين اجتمعوا على أنه لا أثر لكنيسة على أساساته.(١)

مسجد القديس المسيح ذو الأنوار من الداخل

(١) الشارقة غيث خوري: مسجد باب المردوم أثر طليطلة الشامخ، موقع الخليج ٢٠١٦/٠٥/٠٣.

## الخاتمة وأهم ما توصل اليه من النتائج

**توصل الباحث من خلال دراسته هذه لعدد من النتائج المهمة منها :**

**اولاً:** اهتمام الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة والأموية بالعلوم والمدنية كما اهتمت بالنواحي الدينية فكانت الحضارة الإسلامية حضارة تمزج بين العقل والروح، فامتازت عن كثير من الحضارات السابقة. فالإسلام دينٌ عالمي يحض على طلب العلم وعمارة الأرض لتنهض أممه وشعوبه.

**ثانياً:** تنوعت مجالات الفنون والعلوم والعمارة طالما لا تخرج عن نطاق القواعد الإسلامية؛ لأن الحرية الفكرية كانت مقبولة تحت ظلال الإسلام، وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتشع على بلاد الغرب وطرقت أبوابه، وهذه البوابة تبرز إسهامات المسلمين في مجالات الحياة الإنسانية والاجتماعية والبيئية، خلال تاريخهم الطويل، وعصورهم المتلاحقة.

**ثالثاً:** الامتزاج البشرى من سكان الأندلس كان له اثر كبير في تميز العمارة الإسلامية وتنوع اشكالها، واهتمامها بالنواحي الحياتية المختلفة، حيث ظهرت المباني الدينية من مساجد ومدارس وتكايا وزوايا ودور الصوفية، وأبنية مدنية كالدور والقصور، وأبنية عامة كالبيمارستانات والخانات (محطات استراحة المسافرين)، والحمامات والأسواق.

**رابعا:** مثل مسجد باب المردوم نموذجا للمساجد الصغيرة في الدولة الإسلامية والتي مثلت جمال الفن المعماري الإسلامي، ومازال شاهدا على تاريخ المدينة المفقودة بشكل فريد.

## المصادر والمراجع

**اولا: المصادر**

ابن الاثير: على بن أحمد بن أبى الكرم (ت٦٣٠ هـ/١٢٢٣ م)

– الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م

الجوهري: بو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)

– الصحاح في اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩

**ابن خلدون :**

– تاريخ ابن خلدون، ت خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ط٢، ١٩٨٨م

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(٧٤٨هـ/١٣٧٤م).

– سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوطأ، مؤسسة الرسالة، بيروت ،١٩٨٤.

**الرازى** : أبي الحسين احمد بن فارس بن حبيب (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)

– مختار الصحاح، ت محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت ،١٩٩٥

ابن فارس: أبو الحسين أحمد القزويني الرازي (٣٩٥هـ – ١٠٠٤م)

– معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، ٢٠٠٢

**فيروز اباد:** مجد الدين أبي طاهر الشيرازي الفيروز آبادي (ت٨١٧ هـ/١٤٠٨م)

– القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، ٢٠١٣

**القلقشندي:** أحمد بن على بن أبى اليمن (ت٨٢١هـ/١٤٨١م)

– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م

المقري: شهاب ابن احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)

– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ م

ابن المنظور: أبو الفضل الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ/١٣١١م)

– لسان العرب، دار الصادر ،بيروت،٢٠١٠

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م)

– معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م

**ثانياً: المراجع**

**احمد امين :**

– ظهر الاسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ٢٠١٦.

اسماعيل عثمان عثمان:

– تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، ١٩٩٣.

**جرجي زيدان :**

– تاريخ التمدن الإسلامي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢.

**جورج مارسيه:**

– الفن الإسلامي، ترجمة عفيف بهنسي منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٦٨.

**حسين مؤنس:**

– أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة الزهراء للإعلام العربي، ١ط، ١٩٨٧

**حماد شققه وأخرون :**

– دراسات في الجغرافية البشرية، مكتبة اليازجي، غزة، ٢٠٠٨

**خير الدين بن محمود الدمشقي الزركلي:**

– الأعلام ،دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢

**سيد عبد العزيز سالم:**

– تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧.

شريف عبد الرحمن جاه :

– لغز الماء في الاندلس، ترجمة زينب بنياية، هيئة أبو ظبى للسياحة والثقافة، الامارات، ط١، ٢٠١٤.

**عبد الرحمن علي الحجي:**

– التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، القاهرة، دار الاعتصام، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨١م.

**عفيف بهنسي:**

– خطاب الأصالة في الفن والعمارة ، دار الشرق، دمشق، ٢٠٠٤.

**عمرو إسماعيل محمد :**
– تخطيط المدن في العمارة الإسلامية فكر وفنون، وكالة الصحافة العربية، مصر، ٢٠١٩.
**غوستان لوبون:**
– حضارة العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٤.
**كمال السيد أبو مصطفي:**
– تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين الموحدين، الإسكندرية: مطبعه الإشعاع، د/ت .
**ليفي بروفنسال:**
– الأندلس، دائرة المعارف الإسلامية (كتاب الشعب) النسخة العربية ، إعداد وتحرير، إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، القاهرة، مطبعة الشعب، ١٩٣٣.
**محمد عبد الله عنان:**
– دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م .
– دولة الإسلام في الأندلس الهيئة المصرية العامة للكتاب المصري، مكتبة الأسرة، جمعية الرعاية المتكاملة، طبعة خاصة، القاهرة، ٢٠٠١م. ط٤
– الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٩٧.
**المهدي رمضان البشير:**
– فنون عمارة المساجد: التاريخ والوظيفة النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعي، ليبيا، ٢٠١٥ .
**هبة الحداد :**
– مدخل إلى تطور فن عمارة النوافذ في تاريخ العمارة الإسلامية، مركز رويال اكل للدراسات والابحاث ، الكويت ،٢٠١٥.
**– الدوريات والابحاث :**
**توفيق سلطان اليوزبكي:**
– الحضارة العربيّة في الأندلس وأثرها في أوربا، مجلة آداب الرافدين، ٢٠٠٧.
– الهجرات الكبرى فى التاريخ :مجلة القافلة ،شركة أرامكو، السعودية، ٢٠١٦.
**الشارقة غيث خوري:**
– مسجد باب المردوم أثر طليطلة الشامخ، موقع الخليج ٢٠١٦/٠٥/٠٣.